مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث
Enki Foundation for Studies and Research

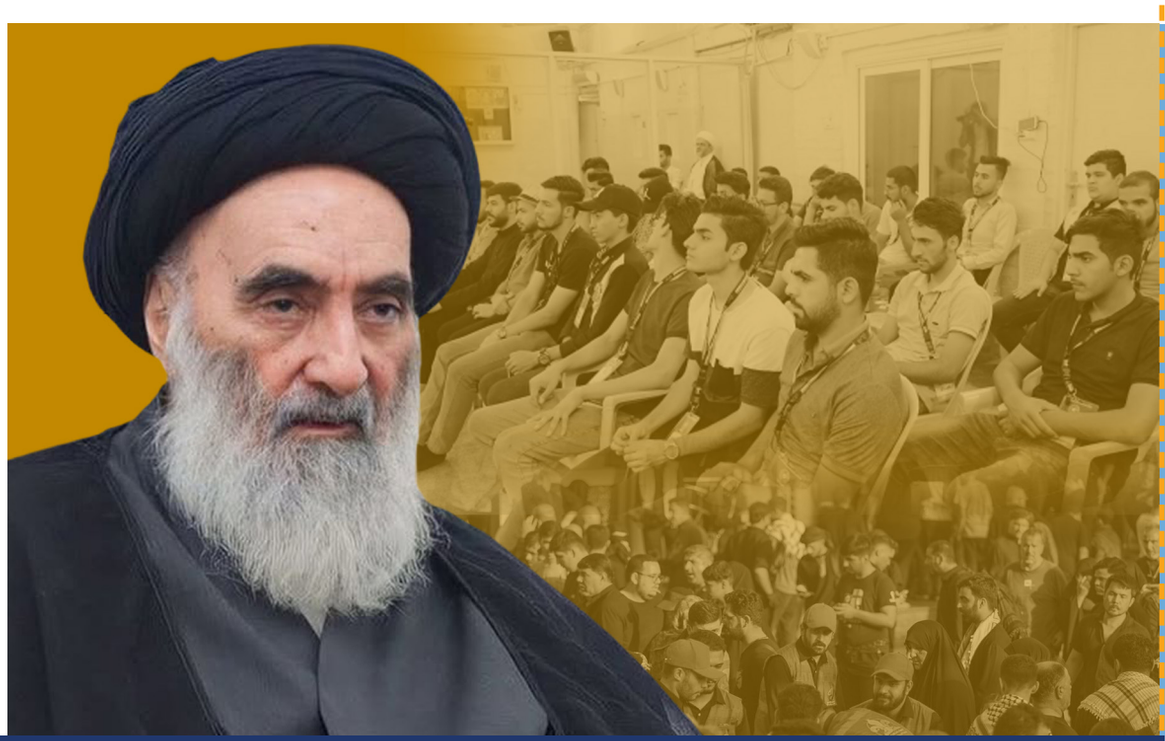

الشباب في خطاب المرجعية

قراءة في وصايا السيد السيستاني للشباب وجذورها في مرويات الإمام الكاظم عليه السلام

د. أحمد هاتف المفرجي

متخصص في الدراسات التاريخية والاجتماعية/ جامعة النهرين

المقدمة

تحاول هذه الورقة تقديم قراءة سريعة ومختصرة لبعض النماذج من فقرات وصية السيد السيستاني (دام ظله) للشباب المؤمن، وهذه الوصية هي جواب لطلب بعض الشباب المؤمنين النصيحة من سماحته فأجاب عليها وصدرت بتاريخ 28/ ربيع الأول / 1437 هـ. إذ تضمنت الوصية ثمان مسائل ترتبط بـ 1 - وجوب الإعتقاد بالله 2 - ولاتصاف بحُسن الخُلق 3 - وضرورة إتقان مهنة 4 - والتحلي بمكارم الأفعال 5 - وتكوين الأسرة 6 - والسعي في نفع الناس - 7وأداء المسؤولية تامة l8 - لتعلّم. هذه على الإجمال هي عناوين مقتبسة من الفقرات الثمان الواردة في الوصية وفي كلٍ منها تفاصيل نقتبس منها بعض الإشارات لغرض عرضها أو (مقابلتها) مع بعض الأحاديث الواردة عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) لغرض ربط الشباب المؤمن بما يفهموه من وصية المرجع المفدّى (دام ظله) بما ورد من درر الإمام (عليه السلام) ليصل إلى نتيجة مفادها وحدة الاتجاه والخط القائم بين مراجع الشيعة وأئمتهم وأنهم على مسيرهم (عليهم السلام) والسيد السيستاني (دام ظله) مثالاً لهذا الارتباط الوثيق.

أولاً: ضرورة الاعتقاد بالله:

ففي هذه الوصية نجد أن السيد المرجع (حفظه الله) يشير إلى ثلاث أمور وهي:

1. لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه
2. عدم قطع الارتباط بالله تعالى
3. عدم الشك في هذا الإيمان

وهذه الأمور الثلاث تتمحور حول أصل الاعتقاد والإيمان بالخالق (سبحانه وتعالى)، وهنا نود أن نشير إلى مقطع منها وهو قوله (دام ظله):

"الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة، فلا يفرطن أحدكم بهذا الاعتقاد بحالٍ بعد أن دلّت عليه الأدلّة الواضحة وقضى به المنهج القويم، فكل كائن في هذا العالم إذا سبر الإنسان أغواره...»

فإذا أردنا مقابلة هذا المقطع بما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) نجد هذا المضمون في روايات عديدة منها ما ورد:

"عن حماد ابن عمرو النصيبي، قال: سأل رجل العالم عليه السلام فقال: أيها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند اللّه؟ قال: ما لا يقبل عمل إلّا به، فقال: وما ذلك؟ قال: الإيمان باللّه، الذي هو أعلى الأعمال درجة وأسناها حظاً وأشرفها منزلة، قلت: أخبرني عن الإيمان أ قولٌ وعمل أم قول بلا عمل؟ قال: الإيمان عمل كله، والقول بعض ذلك العمل بفرض من اللّه بيّنه في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه...»[1]

ففي هذه الرواية الشريفة نجده (عليه السلام) يرمي إلى إفهام السائل أن الإيمان بالله (تعالى) إنما هو أعلى الأعمال درجة وأسناها حظاً وأشرفها منزلة، وبهذا نرى أن الأعمال تدور مدار هذا الإيمان.

ثانياً: الاتصاف بحُسن الخُلق:

في هذه الوصية الثانية نجد أنه (دام ظله) إنما يشير إلى مسائل أبرزها:

ضرورة الاتصاف بحسن الخلق من جهة: والنص الوارد في الوصية حول ضرورة الاتصاف بحسن الخلق على النحو الآتي:

1. «الاتّصاف بحسن الخلق، فإنّه جامع للفضائل الكثيرة من الحكمة والتروّي والرفق و...»

يقابل هذا النص ما ورد عن الإمام (عليه السلام) قوله:

«السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة وما بعث الله عز وجل نبياً ولا وصياً إلا سخياً، وما كان أحد من الصالحين إلا سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى، وقال

1. العطاردي، مسند الإمام الكاظم، ج1، ص457.

من أخرج من ماله الزكاة تامة فوضعها في موضعها لم يسأل من أين اكتسبت مالك"[2]

2. ومن جهة أخرى ضرورة محاسبة النفس عند التقصير: والنص الوارد عنه (دام ظله):

"فإن وجد من نفسه قصوراً فلا يهملنّ نفسه بل يحاسبها ويسوقها بالحكمة إلى غايته..."

يقابل هذا النص ما ورد عن الإمام (عليه السلام) قوله: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسنا استزاد الله وإن عمل سيئا استغفر الله منه وتاب إليه»[3]

ثالثاً: ضرورة إتقان مهنة:

في هذه الوصية نرى أنه (دام ظله) يشير إلى عدة أمور أبرزها:

1. **أصل ضرورة إتقان مهنة:** وقد ورد هذا في قوله:

"السعي في إتقان مهنة وكسب تخصّص، وإجهاد النفس فيه، والكدح لأجله، فإنّ فيه بركات كثيرة يشغل به قسماً من وقته، وينفق به على نفسه وعائلته"

ففي هذا الجانب نرى الإصرار على أصل الفكرة من حيث مزاولة المهن والتخصص. وقد نجد هذا الأصل في كلام الإمام (عليه السلام) في مواضع عدة منها:

«من طلب هذا الرزق من حلّه ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل اللّه»[4]

فالإمام (عليه السلام) كان مهتماً بأصل ضرورة إتقان مهنة وصنعة، ومروياته في هذا الشأن كثيرة حيث نجد في مسنده (عليه السلام) حول العمل

2. الكليني، الكافي، ج4، ص39.

3. الكليني، الكافي، ج2، ص453.

4. العطاردي، مسند الإمام الكاظم، ج2، ص355.

وأحكامه (59) رواية، وهذا عدد كبير يدل على أهمية العمل ولإتقانه عنده (عليه السلام).

2. **ذم البطالة:** فكما أوصى سماحته (حفظه الله) بضرورة الكسب وإتقان المهن؛ نجد أنه ذم البطالة وذلك بوصيته:

"كما أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ الإنسان الكادح الذي يجهد نفسه بالكسب والعمل، ويبغض العاطل والمهمل ممّن يكون كلاًّ على غيره"

والظاهر أنه يعتبرهما نقيضين أحدهما ممدوح والآخر مذموم. يقابل ما ورد هنا ما روي عن الإمام (عليه السلام) قوله:

"إن الله تعالى ليبغض العبد النوّام إن الله تعالى ليبغض العبد الفارغ»[5]

3. **التركيز على عمر الشباب:** وفي وسط وصيته (دام ظله) نجد تركيزه على عمر الشباب بما كان يعنيه من ضرورة إتقان مهنة خاصة، فالشباب فرصة ثمينة قال عنها: «فلا ينقضينَّ شباب أحدكم من دون إتقان مهنة أو تخصّصٍ فإنّ الله سبحانه جعل في الشباب طاقاتٍ نفسيّةً وجسديّة" نرى أنه (حفظه الله) يشير إلى وجود طاقات واستعدادات نفسية وجسدية لعمر الشباب تمكّنه من إتقان المهن. وفي جذور تعاليم الأئمة (عليهم السلام) بما رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: من تعلم في شبابه كان بمنزلة الوشم في الحجر ومن تعلم وهو كبير كان بمنزلة الكتاب على وجه الماء"[6]

ثم بعد هذا نجد أن السيد السيستاني (حفظه الله) يركز على مهنتين خاصتين وهما (الأطباء) و(الأساتذة الجامعيين) وذلك لضرورة يراها في هذين التخصصين، ففي معرض كلامه عن الأساتذة الجامعيين؛ أشار إلى تذكر جهود السابقين وضرورة نقل العلم إلى الأجيال اللاحقة.

5. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص169.

6. الراوندي، النوادر، ص18.

رابعاً: التحلي بمكارم الأفعال:

ففي هذه الوصية نجد أنه (حفظه الله) أشار إلى مكارم الأخلاق من جهتين:

1. **مدحها وذم تركها وإرجاع كل فضيلة إلى مكارم الأخلاق وكل رذيلة إلى غيرها، فقال:**

"التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب مذامها، فما من سعادةٍ وخيرٍ إلاّ ومبناها فضيلة، وما من شقاء وشرٍّ عدا ما يختبر الله به عباده إلاّ ومنشؤهُ رذيلة، وقد صدق الله سبحانه إذ قال [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ]"

ثم بعد ذلك شرع ببيان مصاديق الفضائل والرذائل التي تواجه الإنسان في حياته. وفي قبال هذه التوصية، نجد تأكيد الإمام الكاظم (عليه السلام) في مرويات متعددة على الفضائل والحث على عمل الخير في وصية لأخيه حيث روي أنه (عليه السلام):

«قال لأخيه علي بن جعفر: أخذ أبي[7] بيدي ثمّ قال: يا بنيّ إنّ أبي محمد بن علي عليه السلام أخذ بيدي كما أخذت بيدك وقال: إنّ أبي علي بن الحسين عليهما السلام أخذ بيدي وقال: يا بنيّ افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك فان كان من أهله فقد أصبت موضعه وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله؛ وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[8]

2. **تأكيده (دام ظله) على أمر العفاف للفتيات:** وذلك بقوله: «وأؤكد على الفتيات في أمر العفاف»

حيث نجده يركز على الفتيات بمقطع من هذه الوصية الرابعة أفرده لهنّ حثهنّ على أمر العفاف وحذّر من نتائج تركه السلبية، امتداداً لما روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في أمر العفاف حيث روى (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «خير نسائكم العفيفة»[9]، وكذلك

---

7. يعني الإمام الصادق (عليه السلام).

8. العطاردي، مسند الإمام الكاظم، ج3، ص246.

9. العطاردي، مسند الإمام الكاظم، ج2، ص529.

روايته (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً قوله وتوصيته: «تزوّجوا إلى آل فلان فانّهم عفّوا فعفّت نساؤهم ولا تزوّجوا إلى آل فلان فإنّهم بغوا فبغت نساؤهم؛...»[10]

خامساً: الاهتمام بتكوين الأسرة:

وقد ركز سماحة المرجع في هذا الجانب على ثلاث جوانب هي:

1. الاهتمام بالزواج والإنجاب بلا تأخير.
2. تحذير الفتيات من تقديم الوظيفة أو الدراسة على تكوين الأسرة.
3. تحذير الأولياء من وضع العراقيل أمام بناتهم للزواج كالمهور الغالية وغيرها.

والظاهر أن هذه التوصيات في أمر تكوين الأسرة جاء في إطار معالجة الانحرافات في الفكر والعمل المرتبط بالفكر المحرض على الزواج والحث على العزوبية على يد النسوية وغيرها، ولذا نراه (دام ظله) ينبري لتضمين مسألة تكوين الأسرة في توصياته الشريفة امتداداً لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الإمام الكاظم (عليه السلام)، إذ روى عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى اللّه عليه وآله: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها و حفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله»[11]، وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يزوّج الطالبيين، ففي حديث أن هارون العباسي أمر بإحضاره (عليه السلام) يوماً "فأكرمه وأتى بها بحقة الغالية ففتحها بيده فغلفه بيده ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير فقال موسى بن جعفر ع - والله لو لا أنّي أرى من أزوجه بها من عزّاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله ما قبلتها أبداً»[12]، فنرى أنه (عليه السلام) يقبل هدايا

10. الكليني، الكافي، ج5، ص554.

11. العطاردي، مسند الإمام الكاظم، ج2، ص527.

12. العاملي، وسائل الشيعة، ج17، ص216.

السلطان على غير رضاه وذلك لمساعدة آل أبي طالب (عليه السلام) بتزويجهم وضمان بقاء نسلهم مما يوحي بأهمية هذه المسألة عند الإمام (عليه السلام).

سادساً: السعي في نفع الناس:

وهذه التوصية من جملة ما يهتم بها سماحته (دام ظله). وقد لا نتمكن هنا من الإشارة إلى مواقفه الشخصية العملية وسعيه في مساعدة الناس؛ إلا أننا نكتفي بذكر بعض عبارات توصيته في هذا الشأن إذ يقول في وصيته:

«السعي في أعمال البرّ ونفع الناس ومراعاة الصالح العامّ ولا سيّما ما يتعلّق بشؤون الأيتام والأرامل والمحرومين، فإنّ فيها تنمية للإيمان وتهذيباً للنفس وزكاة لما أوتيه المرء من نعم وخيرات، وفيها سنّ للفضيلة وتعاون على البرّ والتقوى وأداء صامت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة لأولياء الأمور على حفظ النظام العام ورعاية المصالح العامة، وموجبٌ لتغيير حال المجتمع إلى الأفضل، فهو بركة في هذه الدنيا ورصيد للآخرة، وإنّ الله سبحانه يحبّ المجتمع المتكافل المتآزر الذي يهتّم المرء فيه بهموم إخوانه وبني نوعه ويحب لهم من الخير مثل ما يحب لنفسه"

وبهذا نجد أنه أشار إلى ضرورة السعي في نفع الناس من جهة، ومن جهة أخرى يبين آثارها في النفس والمجتمع، وهذا امتداد لوصايا الإمام الكاظم (عليه السلام) ومنها قوله: «إن للّه عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة»[13]. إضافة إلى توصيته لعلي بن يقطين (رحمه الله) في رواية نصّها:

"استأذن علي ابن يقطين مولاي الكاظم عليه السلام في ترك عمل السلطان فلم يأذن له وقال: لا تفعل فإن لنا بك أنساً، ولإخوانك بك عزاً، وعسى أن يجبر الله بك كسراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه، يا علي كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم اضمن لي واحدة وأضمن

13. الصدوق، مصادقة الإخوان، ص70.

لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقى أحدا من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ولا ينالك حد سيف أبدا، ولا يدخل الفقر بيتك أبدا، يا علي من سر مؤمنا فبالله بدأ وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنى وبنا ثلث"[14].

سابعاً: أداء المسؤولية تامة:

في هذه التوصية نجد أن سماحته يوصي بإتقان المسؤوليات وأدائها على الشكل الصحيح والمطلوب الذي تُوكل به إلى أصحابها من حيث الكمال والأمانة وما إلى ذلك. وهو يشير إلى المسؤولية على صعيد الأسرة والمجتمع وحتى السياسة في قوله: «أن يُحسن كلّ امرئ وليَ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولاّه، سواء في الأسرة أو في المجتمع" ثم يشير إلى الولاة والمسؤولين بأن يتبعوا سيرة أهل البيت (عليهم السلام) والتأكيد على وصية الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)، امتداداً لتوصيات الإمام الكاظم (عليه السلام) في ضرورة أداء المسؤولية في مروياته ومنها:

«أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به وألزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده وأحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل فلا تشتغلن بعلم ما لا يضرك جهله ولا تغفلنّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه»[15]

14. المجلسي، بحار الأنوار، ج48، ص136.

15. الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص305.

ثامناً: التعلّم:

حيث يوصي (دام ظله) الشباب المؤمن بالعلم والتعلّم في جميع مراحل الحياة بوصية منها: أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل حياته ومختلف أحواله" إضافة إلى تأكيده على أهم ما تجب قراءته ومدارسته من الكتب وهي القرآن الكريم ونهج البلاغة والصحيفة السجادية بقوله:

"وينبغي للمرء أن يأنس بكتبٍ ثلاثة يتزوّد منها بالتأمّل والتفكير:

أوّلها وأولاها: القرآن الكريم فهو آخر رسالة من الله سبحانه إلى خلقه وقد أرسلها إليهم ليثير دفائن العقول ويفجّر من خلالها ينابيع الحكمة، ويليّن بها قساوة القلوب، وقد بيّن فيها الحوادث ضرباً للأمثال، فعلى المرء أن لا يترك تلاوة هذا الكتاب على نفسه، يشعرها أنه يستمع إلى خطاب الله سبحانه له، فإنّه تعالى أنزل كتابه رسالة منه إلى جميع العالمين.

وثانيها: نهج البلاغة فإنّه على العموم تبيين لمضامين القرآن وإشاراته بأسلوب بليغ يحفز في المرء روح التأمل والتفكير والاتّعاظ والحكمة. فلا ينبغي للمرء أن يترك مطالعته كلّما وجد فراغاً أو فرصة، وليشعر نفسه بأنّه ممّن يخطب فيهم الإمام (عليه السلام) كما يتمنّاه، وليهتمّ برسالته (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) فإنّها جائت لمثل هذه الغاية.

وثالثها: الصحيفة السجّادية فإنّها تتضمّن أدعية بليغة تستمد مضامينها من القرآن الكريم وفيها تعليم لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من توجّهات وهواجس ورؤى وطموح، وبيان لكيفيّة محاسبته لنفسه ونقده لها ومكاشفتها بخباياها وأسرارها، ولا سيّما دعاء مكارم الأخلاق منها".

هذه قراءة سريعة ومختصرة لوصية سماحة الأب المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) ومحاولة لربطها بما ورد من مرويات شريفة للإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) لكشف مدى ارتباط توصيات

المرجع بتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وهذه هي النتيجة التي توصلنا إليها في نهاية هذه الورقة المختصرة.

وأخيراً، فقد جرت العادة أن تختم الأوراق البحثية بتوصيات علمية. إلا أننا هنا لا نوصي إلا بمدارسة توصيات السيد السيستاني (حفظه الله) وجعلها منهاجاً للحياة وتطبيقها على تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) بشكل مفصل لا مختصر وذلك لنفع الدنيا والآخرة بمحمد وعترته الطاهرة.

ملحق: نصّ وصية السيد السيستاني (دام ظله) للشباب المؤمن[16]

بسم الله الرحمن الرحيم

تحيّة طيبة للمرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)

نحن جمعٌ من الشباب الجامعي ومن الذين ينشطون في المجال الاجتماعي، نرجو التفضّل علينا ببعض النصائح التي تنفعنا في هذه الأيّام والتي توضح دور الشباب وماذا يتطلّب منهم لكي يمارسوا دورهم، وغيرها من النصائح التي تنفعهم برأيكم الكريم.

جمعٌ من الشباب الجامعي والناشطين الاجتماعيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد فإنّني أوصي الشباب الأعزاء الذين يعنيني من أمرهم ما يعنيني من أمر نفسي وأهلي بثمان وصايا هي تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، وهي خلاصة رسائل الله سبحانه إلى خلقه وعظة

16. موقع سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني https://www.sistani.org/arabic/archive/25237/ الثلاثاء 20/ذو الحجة/1446هـ - 2025/6/17م، 843م.

الحكماء والصالحين من عباده، وما أفضت إليه تجاربي وانتهى إليه علمي:

الأولى: لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة، فلا يفرطن أحدكم بهذا الاعتقاد بحالٍ بعد أن دلّت عليه الأدلّة الواضحة وقضى به المنهج القويم، فكل كائن في هذا العالم إذا سبر الإنسان أغواره صنع بديع يدلّ على صانع قدير وخالق عظيم، وقد توالت رسائله سبحانه من خلال أنبيائه للتذكير بذلك، وقد أبان فيها عزّ وجل أنّ حقيقة هذه الحياة كما رسمها هو مضمار يبلو فيه عباده أيّهم أحسن عملاً، فمن حجب عنه وجود الله سبحانه والدار الآخرة فقد غاب عنه من الحياة معناها وآفاقها وعاقبتها وأظلمت عليه المسيرة فيها، فليحافظ كلّ واحدٍ منكم على اعتقاده بذلك، وليجعله أعزّ الأشياء لديه كما هو أهمّها، بل يسعى إلى أن يزداد به يقيناً واعتباراً حتّى يكون حاضراً عنده، ينظر إليه بالبصيرة النافذة والرؤية الثاقبة، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

وإذا وجد المرء من نفسه في برهة من عنفوان شبابه ضعفاً في دينٍ مثل تثاقلٍ عن فريضةٍ أو رغبةٍ في ملذّةٍ فلا يقطعن ارتباطه بالله سبحانه وتعالى تماماً، فيصعّب على نفسه سبيل الرجعة، وليعلم أنّ الإنسان إذا تنكّر لأمر الله سبحانه في حالة الشعور بالقوّة والعافية اغتراراً بها فإنّه يؤوب إليه تعالى في مواطن العجز والضعف اضطراراً، فليتأمل حين عنفوانه الذي لا يتجاوز مدّة محدودة فيما هو مقبل عليه من مراحل الضعف والوهن والمرض والشيخوخة.

وإيّاه أن ينزلق إلى التشكيك في المبادئ الثابتة لتوجيه مشروعية ممارساته وسلوكه اقتفاءً لشبهات لم يصبر على متابعة البحث فيها، أو استرسالاً في الاعتماد على أفكارٍ غير ناضجة أو اغتراراً بملذّات هذه الحياة وزبرجها، أو امتعاضاً من استغلال بعضٍ لاسم الدين للمقاصد الشخصيّة، فإنّ الحق لا يقاس بالرجال بل يقاس الرجال بالحق.

الثانية: الاتّصاف بحسن الخلق، فإنّه جامع للفضائل الكثيرة من الحكمة والتروّي والرفق والتواضع والتدبير والحلم والصبر وغيرها، وهو

بذلك من أهمّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وأقرب الناس إلى الله سبحانه وأثقلهم ميزاناً في يومٍ تخفّ فيه الموازين هو أحسنهم أخلاقاً، فليُحسّن أحدكم أخلاقه مع أبويه وأهله وأولاده وأصدقائه وعامّة الناس، فإن وجد من نفسه قصوراً فلا يهملنّ نفسه بل يحاسبها ويسوقها بالحكمة إلى غايته، فإن وجد تمنّعاً منها فلا ييأس بل يتكلّف الخلق الحسن، فإنّه ما تكلّف امرؤٌ طباع قوم إلاّ كان منهم، وهو في مسعاه هذا أكثر ثواباً عند الله سبحانه ممّن يجد ذلك بطبعه.

الثالثة: السعي في إتقان مهنة و كسب تخصّص، وإجهاد النفس فيه، والكدح لأجله، فإنّ فيه بركات كثيرة يشغل به قسماً من وقته، وينفق به على نفسه وعائلته، وينفع به مجتمعه، ويستعين به على فعل الخيرات، ويكتسب به التجارب التي تصقل عقله وتزيد خبرته، ويطيب به ماله، فإنّ المال كلّما كان التعب في تحصيله أكثر كان أكثر طيباً وبركة، كما أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ الإنسان الكادح الذي يجهد نفسه بالكسب والعمل، ويبغض العاطل والمهمل ممّن يكون كلاّ ً على غيره، أو يقضي أوقاته باللهو واللعب، فلا ينقضينَّ شباب أحدكم من دون إتقان مهنة أو تخصّصٍ فإنّ الله سبحانه جعل في الشباب طاقاتٍ نفسيّة ً وجسديّة ً ليكوّن المرء من خلالها رأس مالٍ لحياته، فلا يضيعنّ بالتلهّي والإهمال.

وليهتم كلّ واحدٍ بمهنته وتخصّصه حتى يتقنها، فلا يقولنّ بغير علم ولا يعملنّ على غير خبرة، بل يعتذر فيما لا يستطيعه أو يعلمه أو فليرجع إلى غيره ممن هو أخبر منه، فإنّه أزكى له وأجلب للوثوق به، وليعمل عمله ووظيفته بنَفَسٍ واهتمام، وتذوّقٍ وإقبال، فلا يكون همّه مجرّد جمع المال ولو من غير حلّه، فإنّه لا بركة في المال الحرام، ومن جمع مالاً من غير حلّه لم يأمن من أن يفتح الله عليه من البلاء ما يضطرّ إلى إنفاقه فيه مع مزيد عناءٍ وابتلاء، فلا غنى به للمرء في الدنيا، وهو وبال عليه في الآخرة.

وليجعل نفسه ميزاناً بينه وبين غيره فيكون عمله لغيره على نحو ما يعمله لنفسه، ويحبّ أن يعمله له الآخرون، وليحسن كما

يحب أن يُحسن الله سبحانه إليه، وليراع أخلاقيات المهنة ولياقاتها، فلا يتشبث بالطرق الوضيعة التي يستحي من أن يعلنها، وليعلم أن العامل والمتخصّص مؤتمن على عمله من قِبَل من يعمل له ويرجع إليه، فليكن ناصحاً له، وليحذرن خيانته من حيث لا يعلم، فإنّ الله تعالى رقيب عليه وناظر إلى عمله، ومستوفٍ منه إن عاجلاً أو آجلاً، وأنّ الخيانة والغدر لهما أقبح الأعمال عند الله سبحانه وأخطرها من حيث العواقب والآثار.

وليهتمّ الأطباء بين أهل المهن بمزيد اهتمام بهذه النصائح لأنهم يتعاملون مع نفوس الناس وأبدانهم، فليحذرن كل الحذر من تخطّى ما تقدّم فإنّه يؤول إلى سوء العاقبة وإنّ غداً لناظره قريب.

وقد قال سبحانه عزّ من قائل: [وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ]، وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): (إنّ الله تعالى يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

وليهتم طلاّب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلّق بمجال تخصّصهم مما انبثق في سائر المراكز العلمية وخاصّة علم الطب حتّى يكون علمهم ومعالجتهم لما يباشرونه في المستوى المعاصر في مجاله، بل عليهم أن يهتمّوا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة والاكتشافات الرائدة، ولينافسوا المراكز العلمية الأخرى بالإمكانات المتاحة، وليأنفوا من أن يكونوا مجرّد تلامذة لغيرهم في تعلّمها ومستهلكين للآلات والأدوات التي يصنعونها، بل يساهموا مساهمة فعّالة في صناعة العلم وتوليده وانتاجه، كما كان آباؤهم روّاداً فيها وقادةً لها في أزمنة سابقة، وليست أمة أولى من أمة بذلك، وعليكم برعاية القابليّات المتميّزة بين الناشئين والشباب ممّن يمتاز بالنبوغ ويبدو عليه التفوّق والذكاء حتّى إذا كان من الطبقات الضعيفة وأعينوهم مثل إعانتكم لأبنائكم حتّى يبلغوا المبالغ العالية في العلم النافع، فيكتب لكم مثل نتاج عملهم وينتفع به مجتمعكم وخلفكم.

الرابعة: التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب مذامها، فما من سعادةٍ وخيرٍ إلاّ ومبناها فضيلة، وما من شقاءٍ وشرٍّ عدا ما يختبر الله به عباده إلاّ ومنشؤهُ رذيلة، وقد صدق الله سبحانه إذ قال [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

فمن الخصال الفاضلة: المحاسبة للنفس، والعفاف في المظهر والنظر والسلوك، والصدق في القول، والصلة للأرحام، والأداء للأمانة والوفاء بالعهود والالتزامات، والحزم في الحق، والترفع عن التصرّفات الوضيعة والسلوكيّات السخيفة.

ومن مذامّ الخصال: العصبيّات الممقوتة، والانفعالات السريعة، والملاهي الهابطة، ومراءاة الناس، والإسراف عند الغنى، والاعتداء عند الفقر، والتبرّم عند البلاء، والإساءة إلى الآخرين ولا سيّما الضعفاء، وهدر الأموال، وكفران النعم، والعزّة بالإثم، والإعانة على الظلم والعدوان، وحب المرء أن يُحمد على ما لم يفعله.

وأؤكد على الفتيات في أمر العفاف، فإنّ المرأة لظرافتها أكثر تأذّياً وتضرّراً بالسلبيات الناتجة عن عدم الحذر تجاه ذلك، فلا ينخدعن بالعواطف الزائفة ولا يلجن في التعلقات العابرة مما تنقضي ملذّتها، وتبقى مضاعفاتها ومنغّصاتها. فلا ينبغي للفتيات التفكير إلاّ في حياة مستقرّة تملك مقوّمات الصلاح والسعادة، وما أوقر المرأة المحافظة على ثقلها ومتانتها المحتشمة في مظهرها وتصرفاتها، المشغولة بأمور حياتها وعملها ودراستها.

الخامسة: الاهتمام بتكوين الأسرة بالزواج و الإنجاب من دون تأخير، فإنّ ذلك أنسُ للإنسان ومتعة، وباعثٌ على الجدّ في العمل، وموجبٌ للوقار والشعور بالمسؤولية، واستثمارٌ للطاقات ليوم الحاجة ووقايةٌ للمرء عن كثيرٍ من المعاني المحظورة والوضيعة حتى ورد أنّ من تزوّج فقد أحرز نصف دينه، وهو قبل ذلك كلّه سنة لازمة من أوكد سنن الحياة وفطرة فطرت النفس عليها، لم يفطم امرؤ نفسه عنها إلاّ وقع في المحاذير وابتلى بالخمول والتكاسل، ولا يخافنّ أحدٌ فيه فقراً فإنّ الله سبحانه جعل في الزواج من أسباب الرزق ما لا يحتسبه المرء

في بادىء نظره، وليهتم أحدكم بخلق من يتزوجها ودينها ومنبتها، ولا يبالغن في الاهتمام بالجمال والمظهر والوظيفة فإنّه اغترار سرعان ما ينكشف عنه الغطاء عند ما تفصح له الحياة عن جدّها واختباراتها، وقد ورد في الحديث التحذير من الزواج بالمرأة لمحض جمالها، وليعلم أنّ من تزوّج امرأة لدينها وخلقها بورك له فيها.

ولتحذر الفتيات وأولياؤهن من ترجيح الوظائف على تكوين الأسرة والاهتمام بها، فإنّ الزواج سنّة أكيدة في الحياة، والوظيفة أشبه بالنوافل والمتمّمات، وليس من الحكمة ترك تلك لهذه، ومن غفل عن هذا المعنى في ريعان شبابه ندم عليها عن قريب حين لا تنفعه الندامة، وفي تجارب الحياة شواهد على ذلك.

ولا يحلّ لأوليائهنّ عضلهن عن الزواج أو وضع العراقيل أمامه بالأعراف التي لم يلزم الله بها مثل المغالاة في المهور والانتظار لبني الأعمام أو السادات، فإنّ في ذلك مفاسد عظيمة لا يطلعون عليها، وليعلم أنّ الله سبحانه لم يجعل الولاية للآباء على البنات إلاّ للنصح لهن والحرص على صلاحهن و من حبس امرأة لغير صلاحها فقد باء بإثمٍ دائمٍ ما دامت تعاني من آثار صنيعه وفتح على نفسه بذلك باباً من أبواب النيران.

السادسة: السعي في أعمال البرّ ونفع الناس ومراعاة الصالح العامّ ولا سيّما ما يتعلّق بشؤون الأيتام والأرامل والمحرومين، فإنّ فيها تنمية للإيمان وتهذيباً للنفس وزكاة لما أوتيه المرء من نعم وخيرات، وفيها سنّ للفضيلة وتعاون على البرّ والتقوى وأداء صامت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة لأولياء الأمور على حفظ النظام العامّ ورعاية المصالح العامة، وموجبٌ لتغيير حال المجتمع إلى الأفضل، فهو بركة في هذه الدنيا ورصيد للآخرة، وإنّ الله سبحانه يحبّ المجتمع المتكافل المتآزر الذي يهتّم المرء فيه بهموم إخوانه وبني نوعه ويحبّ لهم من الخير مثل ما يحبّ لنفسه.

وقد قال عزّ من قائل: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ]، وقال:

[إِنَّ اللَّـهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ]، وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): (لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه)، وقال أيضاً: (من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها).

السابعة: أن يُحسن كلّ امرئ ولـيَ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولاّه، سواء في الأسرة أو في المجتمع، فليُحسن الآباء رعاية أولادهم والأزواج رعاية أهاليهم وليتجنّبوا العنف والقسوة حتّى فيما اقتضى الموقف الحزم رعايةً للحكمة وحفاظاً على الأسرة والمجتمع، فإنّ أساليب الحزم لا تنحصر بالإيذاء الجسدي أو الألفاظ النابية بل هناك أدوات ومناهج تربوية أخرى يجدها من بحث عنها وشاور أهل الخبرة والحكمة بشأنها، بل الأساليب القاسية كثيراً ما تؤدّي إلى عكس المطلوب بتجذّر الحالة التي يراد علاجها وانكسار الشخص الذي يُراد إصلاحه، ولا خير في حزمٍ يقتضي ظُلماً، ولا في علاج لخطأٍ بخطيئة.

ومن ولّي أمراً من أمور المجتمع فليهتم به وليكن ناصحاً لهم فيه ولا يخونهم فيما يغيب عنهم من واجباته، فإنّ الله سبحانه متولٍّ لأمورهم وأمره جميعاً و سوف يسأله يوم القيامة سؤالاً حثيثاً، فلا ينفقن أموال الناس في غير حلّها، ولا يقرّرن قراراً في غير جهة النصح لهم، ولا يستغلّن موقعه لتكوين فئة وحزب يتستّر بعضهم على بعضٍ ويتبادلون المنافع المحظورة والأموال المشبوهة، ويزيحون الآخرين عن مواضع يستحقونها أو يمنعون عنهم خدمات يستوجبونها، وليكن عمله لجميع الناس على وجه واحد فلا يجعله سبيلاً للمجازاة على حقوق خاصّة عليه لقرابة أو إحسان أو غير ذلك، فإنّ وفاء الحقوق الخاصّة بالحق العام جور وفساد، فإن ساغ لك ترجيح أحد فعليك بترجيح الضعيف الذي لا حيلة له ولا جهة وراءهُ ولا معين له على أخذ حقّه إلاّ الله سبحانه. ولا يستظهرنّ أحد في توجيه عمله بدين أو مذهب، فإنّ الدين والمذاهب الحقّة قائمة على المبادئ الحقّة من رعاية العدل والإحسان والأمانة وغيرها، وقد قال الله سبحانه: [لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس

بالقسط]، وقال الإمام (عليه السلام): (إنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول في غير موطن: لنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ). فمن بنى على غير ذلك فقد زيّن لنفسه الأماني الزائفة والآمال الكاذبة، وأحقّ الناس بأئمة العدل كالنبيّ (صلّى الله عليه وآله)، والإمام علي (عليه السلام)، والحسين الشهيد (عليه السلام) أعملهم بأقوالهم وأتبعهم لسيرتهم، وليلتزم المتولي لأمور الناس بمطالعة رسالة الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر عندما بعثه إلى مصر، فإنّها وصف جامع لمبادئ العدل وأداء الأمانة وهو نافعٌ للولاة ومن دونهم كلٌّ بحسب ما يناسب حاله، وكلّما كان ما تولاّه المرء أوسع كان ذلك له ألزم وآكد.

الثامنة: أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل حياته ومختلف أحواله، فيتأمل أفعاله وسجاياه وآثارها وينظر في الحوادث التي تدور حوله ونتائجها، حتى يزداد في كلّ يوم معرفة وتجربة وفضلاً، فإنّ هذه الحياة مدرسة متعدّدة أبعادها، عميقة أغوارها، لا يستغني المرء فيها عن التزوّد من العلم والمعرفة والخبرة، ففي كلّ فعل وحدث دلالة وعبرة، وفي كلّ واقعة رسالة ومغزى، تفصح لمن تأمّلها عما ينتمي إليه من الظواهر والسنن، وتُمثّل ما يناسبها من العظات والعبر، فلا يستغني المرء فيها عن التزود من العلم والمعرفة والخبرة حتّى يلقى الله سبحانه، وكلّما كان المرء أكثر تبصّراً أغناه ذلك في معرفة الحقائق عن مزيد من التجارب والأخطاء. وقد قال تعالى: [وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]، وقال لنبيّه (صلّى الله عليه وآله): (وقل ربّ زدني علماً).

وينبغي للمرء أن يأنس بكتبٍ ثلاثة يتزوّد منها بالتأمّل والتفكير:

أوّلها وأولاها: القرآن الكريم فهو آخر رسالة من الله سبحانه إلى خلقه وقد أرسلها إليهم ليثير دفائن العقول ويفجّر من خلالها ينابيع الحكمة، ويليّن بها قساوة القلوب، وقد بيّن فيها الحوادث ضرباً للأمثال، فعلى المرء أن لا يترك تلاوة هذا الكتاب على نفسه، يُشعرها

أنّه يستمع إلى خطاب الله سبحانه له، فإنّه تعالى أنزل كتابه رسالة منه إلى جميع العالمين.

وثانيها: نهج البلاغة فإنّه على العموم تبيين لمضامين القرآن وإشاراته بأسلوب بليغ يُحفّز في المرء روح التأمل والتفكير والاتّعاظ والحكمة. فلا ينبغي للمرء أن يترك مطالعته كلّما وجد فراغاً أو فرصة، وليشعر نفسه بأنّه ممّن يخطب فيهم الإمام (عليه السلام) كما يتمنّاه، وليهتمّ برسالته (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) فإنّها جائت لمثل هذه الغاية.

وثالثها: الصحيفة السجّادية فإنّها تتضمّن أدعية بليغة تستمدّ مضامينها من القرآن الكريم وفيها تعليم لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من توجّهات وهواجس ورؤى وطموح، وبيان لكيفيّة محاسبته لنفسه ونقده لها ومكاشفتها بخباياها وأسرارها، ولا سيّما دعاء مكارم الأخلاق منها.

فهذه ثمان وصايا هي أصول الاستقامة في الحياة وأركانها، وهي تذكرة ليس إلاّ، إذ يجد المرء عليها نور الحق وضياء الحقيقة وصفاء الفطرة وشواهد العقل وتجارب الحياة قد نبّهت عليها الرسائل الإلهية ومواعظ المتبصّرين، فينبغي لكلّ امرئ أن يأخذ بها أو يسعى إليها ولا سيّما الشباب الذين هم في عنفوان طاقتهم وقدراتهم الجسدية والنفسية والتي هي رأس مال الإنسان في الحياة، فإن فاتهم بعضها أو المرتبة العالية منها فليعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير، وإدراك البعض خير من فوات الكل، وقد قال سبحانه: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ].

أسأل الله أن يوفقكم لما يفضي بكم إلى السعادة والسداد في الآخرة والأولى فإنّه وليّ التوفيق.

28/ ربيع الأول / 1437 هـ

قائمة المصادر

1. الديلمي، الحسن بن محمد (841هـ)، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط1، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1408هـ.
2. الراوندي، فضل الله بن علي (570هـ) النوادر، تحقيق: أحمد صادقي أردستاني، ط1، قم: دار الكتاب.
3. الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه (381هـ)، مصادقة الإخوان«تحقيق: السيد علي الكاظمي الخراساني، ط1، الكاظمية: مكتبة الإمام صاحب الزمان العامة.
4. الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه (381هـ)، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط2، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، 1413هـ.
5. العاملي، محمد بن الحسن (1104هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط1، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1409هـ.
6. العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الكاظم، ط1، مشهد: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مطبعة الآستانة المقدسة الرضوية، 1409هـ.
7. الكليني، محمد بن يعقوب (329هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، ط4، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1407هـ.
8. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (1110هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: جمع من المحققين، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1403هـ.
9. موقع سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني https://www.sistani.org/arabic/archive/25237/ الثلاثاء 20/ذو الحجة/1446هـ - 2025/6/17م، 843م.